الأُلْفَـةُ

أ - **الأُلْفَةُ قَاعِدَةٌ ذَهَبِيَّةٌ فِي مَعْرِفَةِ الصَّاحِبِ:**

أَيْ بُنَيَّ، الأُلْفَةُ مِنَ الْقَوَاعِدِ الذَّهَبِيَّةِ الَّتِي قَعَّدَهَا السَّلَفُ، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهَا الكِتَابُ ، وَالسُّنَّةُ ، وَالْفِطْرَةُ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الأنفال : ٦٣].

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ »(١) عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قالتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يقولُ: «**الأرواحُ جُنودٌ**

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٣٣٦) - واللفظ لَهُ - ، وَمُسْلِمٌ (٢٦٣٨) مِن رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - .

مُجنَّدَةٌ(١)، **فَمَا تَعَارَفَ**(٢) **مِنْهَا ائْتَلَفَ**(٣)، **وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**(٤)».

قَالَ الحَافِظُ - رَحِمَهُ اللهُ -: «قَالَ الخَطَّابِيُّ: يُحتَمَلُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَىٰ مَعْنَىٰ التَّشَاكُلِ فِي الخَيْرِ والشَّرِّ، والصَّلاحِ والفَسَادِ، وَأَنَّ الخَيِّرَ مِنَ النَّاسِ يَحِنُّ(٥) إِلَىٰ شَكْلِه، والشِّرِّيرُ نَظِيرُ ذَلِكَ، يَمِيلُ إِلَىٰ نَظِيرِه؛ فَتَعَارُفُ الأَرْوَاحِ يَقَعُ بِحَسْبِ الطِّبَاعِ الَّتِي جُبِلَتْ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَإِذَا اتَّفَقَتْ تَعَارَفَتْ، وإِذَا اخْتَلَفَتْ تَنَاكَرَتْ.

قُلْتُ - أَي: ابْنُ حَجَرٍ -: وَلا يُنْكَرُ عَلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ المُتَنَافِرِينَ رُبَّمَا ائْتَلَفَا؛ لأَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَىٰ مَبْدَإِ التَّلاقِي،

---

(١) **جُنودٌ مُجنَّدَةٌ**: جُمُوعٌ مُجَمَّعَةٌ، وَأَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ.

(٢) **تَعَارَفَ**: تَوَافَقَتْ صِفَاتُهَا، وَتَنَاسَبَتْ أَخْلاقُهَا.

(٣) **ائْتَلَفَ**: مِنَ الأُلْفَةِ، وَهِيَ المَحَبَّةُ.

(٤) **اخْتَلَفَ**: تَبَاعَدَ.

(٥) **يَحِنُّ**: يَشْتَاقُ وَيَتُوقُ.

فَإِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِأَصْلِ الخِلْقَةِ بِغَيْرِ سَبَبٍ، وَأَمَّا فِي ثَانِي الحَالِ فَيَكُونُ مُكْتَسَبًا؛ لِتَجَدُّدِ وَصْفٍ يَقْتَضِي الأُلْفَةَ بَعْدَ النَّفْرَةِ: كَإِيمَانِ الكَافِرِ، وإِحْسَانِ المُسِيْءِ»[1].

وَأَمَّا أَدِلَّةُ الْفِطْرَةِ عَلَىٰ الأُلْفَةِ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، وَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ؛ فَقَدْ تَوَاتَرَ ذَلِكَ، حَتَّىٰ أَصْبَحَ يُضْرَبُ بِها المَثَلُ، فَمِنْ أَمْثَالُ العَامَّةِ:

«الْقُلُوبُ شَواهِدُ».

وَقَالَ رَجُلٌ لآخَرَ: إِنِّي أُحِبُّكَ. فَقَالَ: «رَائِدُ ذَلِكَ عِنْدِي»[2].

أَيْ: أَنَّ الَّذِي عِنْدَكَ لِي مِثْلُ الَّذِي عِنْدِي لَكَ، كَمَا قَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ:

---

(١) «فَتْحُ البَارِي» (١٠/٤٢٦).

(٢) «مُحَاضَرَاتُ الأُدَبَاءِ» (٣/٥٢).

وَعَلَىٰ الْقُلُوبِ مِنَ الْقُلُوبِ دَلائِلٌ
بِالْوِدِّ قَبْلَ تَشَاهُدِ الأَرْوَاحِ[1]

وَقَالَ رَجُلٌ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ: إِنَّ فُلانًا يَقُولُ: إِنَّهُ يُحِبُّنِي، فَبِمَاذَا أَعْلَمُ صِدْقَهُ؟. قَالَ: «امْتَحِنْ قَلْبَهُ بِقَلْبِكَ، فَإِنْ كُنْتَ تَوَدُّهُ فَإِنَّهُ يَوَدُّكَ»[2].

وَرَأَىٰ ابْنُ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - رَجُلاً، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا لَيُحِبُّنِي». قَالُوا: وَمَا عِلْمُكَ؟!.

قَالَ: «إِنِّي لأُحِبُّهُ، وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»[3].

---

(١) «مُحَاضَرَاتُ الأُدَبَاءِ» (٣/٥٢).
(٢) «مُحَاضَرَاتُ الأُدَبَاءِ» (٣/٥٢).
(٣) «رَوْضَةُ العُقَلاءِ» (ص١٨٠).

وقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الأَحْنَفِ:

قَلْبِي وَقَلْبُكَ بِدْعَةٌ (١) خَلْقَاً
يَتَجَارَيَانِ بِصَادِقِ الحُبِّ (٢)

ب - أُلْفَةُ الأَخْيَارِ:

أَيْ بُنَيَّ، إِذَا كَانَ الرَّجُلُ الَّذي تُرِيدُ أَنْ تَصْطفِيَهُ لنَفْسكَ مُنَاسِبًا ، وَوَجَدْتَ بَيْنَكُمَا أُلْفَةً وَمُشَاكَلَةً، وَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي تَقَدَّمْتُ لَكَ بِذِكْرِ شَيءٍ مِنْهَا، فَعَضَّ عَلَيْهِ بِنَوَاجِذِكَ ، وَشُدَّ عَلَيْهِ خَاصِرَتَكَ ، وَحَالُكَ :

فَقُلْتُ :أَخِي، قَالوا :أَخٌ مِنْ قَرَابَةٍ
فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ الشُّكُولَ أَقَارِبُ

نَسِيبِي فِي رَأْسِي وَعَزْمِي وَهِمَّتِي
وَإِنْ فَرَّقَتْنَا فِي الأُصُولِ المناسِبُ

(١) «مُحَاضَرَاتُ الأُدَبَاءِ» (٣/٥٣).
(٢) البِدْعَة -بالكَسْرِ-: الغَايَة فِي كُلِّ شَيْءٍ، والمُرَادُ هُنا الغَايَةُ في الحُبِّ.

جـ - أُلْفَةُ الأَشْرَارِ:

أَيْ بُنَيَّ مَتَىٰ وَجَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ نَوْعَ أُلْفَةٍ لِلأَشْرَارِ الَّذِينَ تَقَدَّمْتُ لَكَ بِذِكْرِ شَيْءٍ مِنْ أَوْصَافِهِمْ- فَسَارِعْ لِلْبَحْثِ عَنِ الْمُقْتَضِي لِذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ وَحَاسِبْهَا، وَأَصْلِحْ حَالَكَ مَعَ اللهِ، يُصْلِحْ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عِبَادِهِ.

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ الجَوْزِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ - : «وَيُسْتَفَادُ مِنَ الحَدِيثِ [أَيْ: حَدِيثُ الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ..] أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ نَفْرَةً مِمَّنْ لَهُ فَضِيلَةٌ أَوْ صَلاحٌ- فَيَنْبَغِي أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْمُقْتَضِي لِذَلِكَ؛ لِيَسْعَىٰ فِي إِزَالَتِهِ، حَتَّىٰ يَتَخَلَّصَ مِنَ الوَصْفِ المَذْمُومِ، وَكَذَلِكَ القَوْلُ فِي عَكْسِهِ»(١).

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي قَرْيَتِكَ- أَوِ الْبِلادِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا-

(١) «فَتْحُ البَارِي» (٦/ ٣٧٠)، و«دَلِيلُ الفَالِحِينَ» (٢/ ٢٣٧).

خِلٌّ صَالِحٌ، فَإِنَّ لَكَ فِي الكُتُب [1] عِوَضًا عَنْ كُلِّ جَلِيسٍ.

قَالَ الخَطَّابِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - :

وَإِنِّي غَرِيبٌ بَيْنَ بُسْتٍ [2] وَأَهْلُهَا
وَإِنْ كَانَ فِيهَا أُسْرَتِي وَبِهَا أَهْلِي
وَمَا غُرْبَةُ الإِنْسَانِ فِي غُرْبَةِ النَّوَى [3]
وَلَكِنَّهَا -وَاللهِ- فِي عَدَمِ الشَّكْلِ [4]

أَيْ بُنَيَّ قَدْ تَدْعُو الحَاجَةُ إِلَىٰ مُنَاسَبَةِ مَنْ لا يُنَاسِبُ كَسَفَرٍ، أَوْ عَمَلٍ، أَوْ نَحْوِهِمَا، وَهَذَا لاَ يَحْسُنُ ولا

---

(١) حتَّىٰ الكُتُبُ تَحْتَاجُ لاخْتِبَارٍ غَثُّهَا مِنْ سَمِينِهَا أَعْظَمَ مِنْ اخْتِبَارِ الصَّاحِبِ؛ فَإِنَّ صَحِيحَهَا بِسَقِيمِهَا مَعْجُونٌ ، حَاشَا كِتَابِ اللهِ ، وَمَا صَحَّ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - .

(٢) بُسْت - بالضَّمِّ - : بَلَدٌ بسجِسْتَانَ

(٣) النَّوَىٰ - بزِنَةِ الفَتَىٰ - : البُعْدُ والفِرَاقُ .

(٤) « فَرَائِدُ الخَرَائِدِ فِي الأَمْثَالِ » لِيُوسُفَ بْنِ طَاهِرٍ الخُوئِيِّ (ص٣٩٤) .

يَجْمُلُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ: «المُنَاسَبَةُ تُورِثُ المُشَاكَلَةَ».

وَقِيلَ: «مَنْ جَالَسَ جَانَسَ».

فَحَذَارِ مِنْ هَذَا العِثَارِ؛ فَإِنَّ: «مِنَ الحَبَّةِ مَنْشَأَ الشَّجَرِ»، و«مَنْ بَاعَ عِرْضَهُ أَنْفَقَ».

وَلَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِي حِيْنَ قَالَ:

يَزِيْنُ الْفَتَىٰ فِي قَوْمِهِ وَيَشِينُهُ
وَفِي غَيْرِهِمْ أَخْدَانُهُ[1] وَمَدَاخِلُهْ
لِكُلِّ امْرِئٍ شَكْلٌ مِنَ النَّاسِ مِثْلُهُ
وَكُلُّ امْرِئٍ يَهْوَىٰ إِلَىٰ مَنْ يُشَاكِلُهْ

وَمَا أَجْمَلَ مَا قَالَهُ شَوْقِي:

تَجِدُ الْكُتُبَ فِي النَّقْدِ كَمَا
تَجِدُ الإِخْوَانَ صِدْقًا وَكِذَابَا

(١) الأَخْدَان: الأَصْحَاب، واحدُهم: خِدْنٌ- بالكَسْرِ -.

فَتَخَيَّرْهَا كَمَا تَخْتَارُهُ
وَادَّخِرْ فِي الصَّحْبِ وَالْكُتُبِ اللُّبَابَا[1]
صَالِحُ الإِخْوَانِ يُبْغِيكَ[2] التُّقَىٰ
وَرَشِيدُ الكُتُبِ يُبْغِيكَ الصَّوَابَا[3]

وَكَانَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ يَتَمَثَّلُ:

لِكُلِّ امْرِئٍ شَكْلٌ يَقَرُّ بِعَيْنِهِ
وَقُرَّةُ عَيْنِ الْفَسْلِ أَنْ يَصْحَبَ الْفَسْلَا[4]

(١) اللُّبَاب- بالضَّمِّ- الخَالص .
(٢) أَبْغَاهُ الشَّيْءَ : أَعَانَهُ عَلَىٰ طَلَبِهِ .
(٣) «الشَّوفيَّات» (٢/ ١٧).
(٤) الفَسْل- بالفَتْحِ - الرَّذَائِلُ الَّذِي لا مُرُوْءَةَ لَهُ .